كل حوادث قتل الاساتذة الجامعيين والاطباء سجلت ضد مجهول!!

التهديدات هجرت اكثر من ٣٠٠ طبيب وغياب الكفاءات أوقف ٥٣ مرفقاً علمياً

◆ رسالة خطية وتسجيل صوتي لأحد الاطباء: (نفذوا ما يطلبونه منكم. سوف أبدأ من الصفر)!

عامر القيسي - اياد عطية

اربعة ملثمين مسلحين ترجلوا من سيارتهم (الأوبل) الحمراء عند نهاية شارع حيفا قرب مقهى البيروتي واعترضوا سيارة الدكتور حسن الربيعي عميد كلية الطب بجامعة بغداد، وهو في طريق عودته إلى منزله برفقة زوجته وابنته، وانهالوا عليهم برشقات من رصاص بنادقهم الرشاشة.. حاول الدكتور الربيعي التخلص منهم إلا ان سيارته ارتطمت باحد اعمدة الكهرباء. وكانت احدى الرصاصات التي استقرت في رأسه كافية لانهاء حياته، فيما اصيبت زوجته وابنته في الحادث وتم نقلهما إلى المستشفى. القتلة لاذوا بالفرار. والقضية سجلت ضد مجهول، كما في كل حوادث الاغتيال التي طالت من بين ما طالت العلماء والاطباء واساتذة الجامعات في العراق.

مسلسل الاغتيالات

منذ سقوط نظام الصنم ولغاية الآن، ما زال مسلسل استهداف العلماء العراقيين مستمراً، اساتذة جامعة واطباء، فقد اغتيل العديد من الاطباء والاساتذة والعلماء. ففي ١٦ / ٣ / ٢٠٠٤ تم اغتيال الدكتور غالب الهيتي استاذ الهندسة الكيمياوية، في كلية الهندسة في جامعة بغداد، كما لقي الاستاذ صبري البياتي رئيس قسم الجغرافية، بجامعة بغداد مصرعه في ١٣ / ٦ / ٢٠٠٤ اثر اعتراض سيارته عند احد الشوارع المؤدية إلى جامعة بغداد في باب المعظم.. وفي ١٩ / ١/ ٢٠٠٤ أطلق مسلحون الرصاص على الدكتور عبد اللطيف المياحي، مساعد مدير مركز دراسات الوطن العربي في بغداد، عندما كان يهم بالخروج من منزله. وفي الموصل اغتالت يد الاجرام الدكتورة ليلى عبد الله سعيد، عميدة كلية الحقوق بجامعة الموصل، حيث تم اغتيالها بطريقة وحشية، إذ وجدت مذبوحة في منزلها، فيما قتل زوجها الذي كان بجانبها، بوابل من اطلاقات الرصاص. كما تم في بداية العام الماضي تصفية استاذ جراحة العظام والكسور الدكتور عماد سرسم والدكتور محمد الراوي رئيس جامعة بغداد. والقائمة طويلة..

حلقات ارهابية مترابطة!

وفي الجامعة المستنصرية، التي فقدت العديد من اساتذتها في جرائم الاغتيالات، وصف الدكتور ستار غانم رئيس قسم علم النفس.. الاعمال الاجرامية التي تعرض لها العلماء والاطباء والاساتذة الجامعيون، بانها اعمال وحشية، اجرامية وان هناك جريمة منظمة وايادي مجرمة تقف وراء هذه العمليات لإشاعة الارهاب والارباك والخوف في نفوس النخبة التي تعتمد عليها البلاد في نهوضها وتقدمها، ولا يمكن عزل جرائم الاغتيالات عن غيرها من الجرائم التي يتعرض لها العراق من تخريب وتدمير للبنية الاقتصادية. وهنا يتم تخريب واستهداف وتدمير البنية العلمية المتمثلة بالعلماء والاطباء واساتذة الجامعات والمفكرين في كل المجالات والحقول العلمية.. إن الاطراف التي تقف وراء هذه الجرائم، هي نفسها التي تقتل العراقيين بالسيارات المفخخة كل يوم، وهي الاطراف نفسها التي تدمر خطوط نقل النفط ومحطات توليد الكهرباء. هذه الحلقات المجرمة لا يمكن عزلها عن بعضها. ويؤكد الاستاذ حسين خلف، استاذ اللغة الانكليزية في كلية التربية، جامعة بغداد، من المؤسف ان جميع هذه الجرائم، قيدت ضد مجهول، إذ عجزت اجهزة الشرطة والامن عن الوصول إلى هذا (المجهول) وكل يوم يتلقى الاساتذة تهديدات بالقتل والتصفية، على يد مأجورين مسلحين من قبل جهات متطرفة، ووصل الإستخفاف بالوضع الأمني، إلى إن هذه العناصر تصل إلى مكتب الاستاذ وتسلمه كتباً مختومة وموقعة من عناوين هذه المنظمات تتضمن تهديدات بالقتل في حال عدم تركه عمله في الكلية.

اغتيال بكاتم الصوت!

يقول تقرير لصحيفة (الواشنطن بوست) ان عدداً كبيراً من الاطباء المخطوفين لم يبلغوا عن تعرضهم للخطف. واشارت الصحيفة إلى مقتل الدكتور صادق العبادي بعد خروجه من عيادته في منطقة الشعب، حيث اطلقت عليه النار من مسدس كاتم للصوت. وقد سببت هذه العمليات في نزوح العديد من الاطباء من العراق للعمل في الدول العربية المجاورة، كما قتل مدير مستشفى الكرامة في بغداد، حسب مصادر وزارة الصحة، ومن الصعب - تقول الصحيفة - الحصول على ارقام حقيقية عن عدد الاطباء الذين لقوا مصرعهم نتيجة هذه الاعتداءات لكن هناك دلائل تشير إلى ان عمليات القتل والاختطاف لها دوافع سياسية ولها دوافع مادية ايضا.

تقول مصادر وزارة الصحة. ان النقص الحاصل في الكادر الطبي يضيف ضغوطاً متزايدة على النظام الصحي في العراق الذي يعاني اصلاً من نقص في المعدات والادوية، مقابل زيادة في عدد الحالات الطارئة، التي ترد إلى مستشفيات بغداد نتيجة لتردي الاوضاع الامنية.

الاطباء يتحدثون

وفي مقابلة تلفزيونية مع الدكتور فؤاد علي (٥٠ عاما) قال انه هرب من العراق إلى الاردن قبل شهرين بعد ان اقتحمت عصابة مسلحة منزله ونهبت كل ما هو ثمين في البيت واندرته بانها ستعود ثانية. واضاف ان تهديدات عديدة وصلته من العصابة، قبل عملية السطو. اما الدكتور امير مختار مدير مؤسسة مدينة الطب، فيقول، ان اخاه احمد وهو طبيب ايضاً، قد هدد واطلقت عليه النار. فغادر البلاد مخلفاً ابنه في بغداد لاداء الامتحان. فخطف الابن بعد ايام. ولم يفرج عنه إلا بمبلغ مالي كبير.أخ آخر، محمد. يعمل في مدينة الطب خطف هو الآخر، ويواصل الدكتور مختار، ان اخاه ارسل رسالة خطية، وتسجيلاً صوتياً من خاطفيه يقول فيه "نفذوا ما يطلبونه منكم. سوف ابدأ من الصفر". وتم اطلاق سبيله بعد دفع فدية مقدارها (٤٠) الف دولار!!

ويضيف، إن (١٥) طبيباً اختصاصاً قد غادر مستشفاه وان (٢٠) طبيباً آخر قد طلبوا اجازات امدها ستة اشهر لأنهم يخشون المجيء إلى المستشفى!!

استهداف الخلايا الحية

ويستمر تنفيذ هذا المخطط دون ان يجد من يقف بوجهه بجدية، وضمن مخطط مقابل بهدف حماية حياة الاطباء والاساتذة، فقد كانت وسائل الاعلام تتناقل انباء الاغتيالات والاختطافات، ونحن نعد هذا التقرير. فقد اختطف الدكتور قاسم مهدي من عيادته في حي الجامعة ولا يزال مصيره مجهولاً. واغتيل الدكتور حسين جغيل مدير ضريبة كربلاء وكذلك الدكتور نايف رحمن وهو عالم كيمياوي ومدير مصنع الادوية والتحاليل في الموصل. اما الدكتور "رعد قرياقوس" فقد دخلوا عيادته في الانبار وأردوه قتيلاً بثلاث رصاصات في صدره، وهو جراح ماهر ونادر واستاذ في كلية الطب بجامعة الانبار. والقائمة تطول ايضاً. إذ بلغ عدد اساتذة الجامعة الذين تم اغتيالهم، حسب رئيس رابطة اساتذة الجامعة التدريسية، التي تضم (١٧٠٠) استاذ جامعي، مائة استاذ من مختلف الاختصاصات، فيما يقول السيد وزير التعليم العالي، إن العدد (٤٦) استاذاً. ويضيف السيد الوزير، في تصريحه لنا: ان القاسم المشترك لهذه الاغتيالات، هو اغتيال العراق، لأن الاساتذة الذين تم اغتيالهم ليسوا من اتجاه واحد. وهي عمليات تستهدف الخلايا الحية في الجسم العراقي. والمؤسف ان احداً لم يلق القبض على أي مجرم شارك أو ارتكب اعمال الاغتيالات هذه. وهذا بصراحة نعتبره تقصيراً من قبل الاجهزة الامنية. لقد خسرنا عدداً كبيراً من الكفاءات لدرجة، إننا عطلنا الدراسة والعمل في اكثر من مرفق علمي (حسب علمنا بلغ العدد (٥٣) مرفقاً علمياً). وعليك مثلاً ان تتصور، انه اضافة، إلى اعمال الاغتيال، فهناك اكثر من (٣٠٠) طبيب قد هاجروا إلى خارج العراق، ويجري استيعابهم بصورة مستمرة،في معظم دول العالم مقابل امتيازات وهي اغراءات تستكمل، في المحصلة النهائية اهداف مسلسل الاغتيالات.

الدكتور جواد مطر الموسوي

تجربة تاريخية

الدكتور جواد مطر الموسوي استاذ في كلية الآداب. قسم التاريخ في جامعة بغداد تحدث عن بعض (التبريرات!) التي تتخذ ذريعة لتصفية هذه الملاكات منطلقاً من رؤية تاريخية بقوله

-الاوراق تختلط في الهدف والتبرير. ومثل هذه الاغتيالات لها اهداف سياسية واضحة الغرض منها القضاء على النخبة الخيرة.

ولو اطلع القتلة على التاريخ. وتاريخ حياة ابن طاووس تحديداً، وهو نقيب الاشراف في بغداد وعالمها ايضاً. الذي استطاع ان يجمع العلماء من حوله، وبجميع المذاهب والمشارب، على الرغم من وجودهم في ظل الاحتلال المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ. وكان هناك صراع مذهبي ايضاً.

وقد قبل ابن طاووس التحدي، ودخل مع تجمعه في حوارات مطولة وعميقة مع المحتل المغولي، فكرية وسياسية، على الرغم من قساوة المحتل، واستطاع بهذا الاسلوب، ان يؤثر على غالبية القيادات المغولية التي اعتنق بعضها الاسلام واندمج مع المجتمع العراقي الاسلامي. وقبل ذلك، بعد سقوط بابل سنة ٥٣٩ قبل الميلاد، على يد الفرس الاخمينيين، استطاع شعب بابل ان يستوعب ذلك الغزو، ويصمد امام رياحه، وحصل ان أخذ الفرس من اهل بابل اصول الكتابة المسمارية واستفادوا من منجزات الحضارة البابلية.

فلماذا نخشى الحوار والتعامل مع الامريكان ولم نأت بهم نحن؟ الامريكان سيرحلون ويبقى العراق. وبالتالي فان عمليات اغتيال هذه النخب الكفوءة، يعبر عن قصر نظر وجهل. الاسلام نفسه يقول جادلهم بالتي هي احسن. ان الاسلام شفاف وغير معقد وهو رسالة انسانية، ويؤكد على احترام الديانات الاخرى، أهل الذمة مثلاً، الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في ظرف خاص وفي مفاوضاته مع قريش - كانوا كفاراً - طلبوا ان تزال جملة محمد رسول الله من نص الاتفاق، فأشار عليهم ان يكتبوا محمد بن عبد الله، حقناً للدماء. هذا هو نمو ذجنا فما هو نموذجهم ان كانوا مسلمين؟

ثروة وطنية

هل ينبغي التعامل مع هذه الاغتيالات باعتبارها جرائم عادية؟ هل نكتفي بكتابة محضر عن حوادث الاغتيال هذه ونسجلها ضد مجهول في كل مرة؟

هل نستمر في هذا النهج ونتصرف بلا مبالاة واضحة تجاه تفريغ العراق من الاساتذة والاطباء والعلماء؟

اسئلة كثيرة. والحقيقة ان لا اجابات. فلا وزارة الداخلية لديها خطة واضحة حول هذا الموضوع تحديداً. ولا وزارة التعليم العالي تعرف ماذا تفعل. ولا النقابات الممثلة لهم والمنتشرة في طول وعرض البلاد، قادرة على حمايتهم. ولا هم قادرون على الدفاع عن انفسهم، امام عصابات محترفة وقتلة مأجورين.

فماذا نفعل لحماية هذه الثروة الوطنية التي يصعب تعويضها؟

في ابسط تقدير فان كلفة صنع الاستاذ لا تقل عن عقدين من السنين مع آلاف الدولارات من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة نيل شهادة الدكتوراه أو الدراسة خارج العراق.

-فمن يوقف هذا النزيف؟

حالات

-١-
الاسم: د. محمد حسن علوان
الموقع: رئيس قسم الجراحة في طب المستنصرية
الحالة: ليس لديه انتماء سياسي. اجازة لمدة سنة. بسبب التهديد

-٢-
الاسم: د. حكمت الشهربان
الموقع: عميد كلية طب بغداد
الحالة: مستقل. اطلاق نار على منزله. غادر البلاد

-٣-
الاسم: ثلاثة اساتذة ودكتور
الموقع:الجامعة المستنصرية - كلية الهندسة
الحالة: تهديد بالقتل باسم "الجماعة السلفية" الكلية اوقفت الدراسة عدة اسابيع.

-٤-
الاسم: سمير عبد الله الكروي.
الموقع: د. متفرغ بجامعة اوربية.
الحالة: عاد ليعمل في العراق. سرقت سيارته وتم تهديده بالقتل عاد من حيث اتى.

◆ الأساتذة: الاطراف التي تقف وراء هذه الجرائم هي نفسها التي تقتل العراقيين بالسيارات المفخخة

◆ طبيب يهاجر ويترك ولده لاداء الامتحان فخطفوا الابن بعد ايام

وزارة الصحة: النقص الحاصل في الملاكات الطبية يضيف ضغوطاً متزايدة على النظام الصحي في العراق

تحت الضوء

التنمية البشرية في الدولة العصرية

علي المالكي

لا تقوم الدولة العصرية، الا بالانسان المتعلم والقادر على التماهي مع روح العصر، ولن يتبلور هذا الانسان الا ببرامج بشرية فعالة في تمكينه من امتلاك مهارات التفكير العلمي، والناقد، والابتكاري، برامج فعالة في تدريبه على تلك المهارات، وتنميتها، ولن تتحقق تلك البرامج الا في اطارها المؤسساتي، الذي يعتمد آخر منجزات العلوم السلوكية والادراكية.

ان اعادة الاعمار ستكون ناقصة، ما لم يرافقها الشروع العملي ببرامج التنمية البشرية التي تعيد خلق المواطن سلوكاً وطريقة تفكير، وقد شرعت العديد من منظمات المجتمع المدني بتنفيذ برامج تنمية، سعت إلى ايصال مفاهيم، الحوار والديمقراطية والانتخابات، وفض المنازعات، وحقوق الانسان والحرية، وبعض مهارات الاتصال، ولكننا لاحظنا ان تلك البرامج تنفذ بطريقة "التشربت!" لان من ينفذونها هم بحاجة للدخول في برامج تنمية الشخصية، فضلاً عن ان اختصاصات معظمهم بعيدة كل البعد عن مضامين تلك البرامج، ولهذا تهدر الملايين على دورات - شكلية - الدورات المجانية لتعلم مهارات استخدام الحاسوب والانترنيت يجب اشاعتها لا من قبل مؤسسات الدولة (وزارة الرياضة والشباب، أو وزارة التربية أو وزارة التعليم العالي)، بل وايضاً من منظمات المجتمع المدني، وللاسف فان الاخيرة حولتها إلى مشاريع استثمارية، مع ان مراكزها المعلوماتية كانت منحاً من منظمات اجنبية، وايضاً ضاع المال والجهد في هذا الضرب من ضروب التنمية البشرية، وقل نفس القول عن الايفادات للخارج.. ما عدا الدورات التدريبية التي تنفذ في اقليم كردستان.

ان عقد مؤتمر لبحث موضوع التنمية البشرية من قبل من يعنيهم الامر من المسؤولين في الحكومة العراقية ومنظمات المجتمع المدني اصبح ضرورة ملحة، إذ لا تستطيع ان تبدل ما بقوم حتى تبدل طرائق تفكيرهم في الحياة.

العائلة والمؤسسة الدينية يهدئان الانسان سلوكياً، إلا ان اعداده العقلي والفكري وتطوير مهاراته في التفكير من مهام المعلم بدءاً من رياض الاطفال وانتهاء بالجامعة وتضاف إلى ذلك منظمات المجتمع المدني القادرة على تنفيذ برامج التنمية البشرية.

ان التنمية البشرية في العراق الراهن تعني اعادة اعمار شخصية الانسان العراقي التي تعرضت للهدم طوال قرون، ويبدو ان البعض من الخيرين في دوائر الدولة قد انتبهوا لهذه القضية واهميتها، فنظموا دورات في التفكير الناقد، ومن بينها مديرية رياضة وشباب محافظة بابل، إذ عقدت دورة في "التفكير الناقد" لعدد من الشبان والشابات، وانتهت الدورة بحماس في نفوس المشاركين واعراب عن الجدة في الموضوع، وتمنيات في اشاعة هذا النوع من التدريب في المجتمع العراقي.

ترى من سيهتم لدعوتنا بعقد مؤتمر للتنمية البشرية؟.. كليات علم النفس في الجامعات العراقية؟ مركز البحوث النفسية والتربوية؟ مجلس الوزراء؟ منظمات المجتمع المدني؟ مركز الراشد للتنمية؟ ام وزارة التخطيط والتعاون الانمائي؟